الحارث بن الفضل في «حمالة النهدين»:

خروج فني عن بهاء المجموعة وقاموسها المتميز

■ مهدي الحيدري

بداية للتذكير وللتنبيه معا فقد سبق لنا في حلقة ماضية من هذه القراءة الانطباعية في شعر الحارث بن الفضل أن نبهنا إلى ملاحظتين اثنتين هما.. الاولى أن الحارث بن الفضل يعد صوتا شعريا نوعيا لايزاحم ولايطاول في مداراته الخاصة.. وإذا تقصدت هذه القراءة ابراز عيوب ما في مجموعة حمالة النهدين فهو من باب الغيرة على الجميلة الفاتنة أن تظهر عليها الندوب وهذا حسبه وحسبي ايضا .

أما الملاحظة الثانية فهي أن هذه القراءة قد ركزت فقط على الشوك القليل جدا المصاحب لباقات الورد الكثير جدا في حمالة النهدين ولم تتطرق لباقات الورد إياها المحتشدة في المجموعة إلى حد البذخ.. ولا إلى الوثبات الابداعية المدهشة في المجموعة إياها باعتبار ان هذا هو الأصل في شعر الحارث وأن هذا عمله وان الهنات هي الصوت النشاز في شعره، وقد حاولت هذه القراءة تعديد هذه الهنات كمعايب عليها ألا تعود أو كعيوب من رؤية خاصة قد تحمل النقد ايضا.. وفي كل أمرٍ كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه.

خروج غير موفق

وكما يوصف خروج حارس المرمى لالتقاط الكرة خارج الخط الأخضر بأنه خروج موفق أو غير موفق بحسب النجاح والاخفاق فما التقاط الكرة يمكن وصف الشاعر الكبير عند خروجه عن خطه الفني أو الفكري أو... بأنه ايضا خروج غير موفق او موفق .. وعلى هذا الاساس أطرح بعض الابيات التي وردت ضمن قصائد «حمالة النهدين» والتي أرى فيها خروجا ما واتساءل من ثم عن مدى التوفيق فيه من التساؤل الذي تثيره الابيات اياها فمثلا في قصيدة مرايا الطلل يقول الحارث في البيت

ولا أطيق وداعا إن لي امرأة
في صدرها تهبط الألواح والرسل
يحدث النهد فيها جاره أسفاً
قل لي متى عن ربانا يرحَل الرجل

أي امرأة هذه التي تهبط الألواح والرسل في صدرها ؟ ومتى كانت الرسل تهبط ابتداء ؟ومن أين يا ترى؟

أي تذمر وضجر هذا الذي يبديه النهد من خلال سؤاله الاسيف لجاره المتذمر مثله كما يبدو من بقاء الرجل في رباهما.. هذا الضيف الثقيل الذي اجتاز بقاء فصل الصف كما يبدو ومزمع الإقامة فترة غير معروفة كما يحدثه السياق.

أي رمزية (على افتراض ذلك) تحشد المرأة -الرجل- الرسل- الألواح- النهدين -الصدر- الربى.. كأشياء معنوية في بيتين ثم أين طرف المعادلة في الرمزية المفترضة ؟ وماهي؟ .

واخيرا ألم يكن للشاعر مندوحة في استخدام مفردتين غير مفردتي الالواح والرسل اللتين استخدمتا في غير مكانهما لاسيما وهو احدوثة البردوني أثرى أثرياء الشعر في المفردات :

من قصيدة دوحة الإبداع:

للضوء صوت قرمزيّ هنا
تسقى المرايا منه قطر الندى

ومن قصيدة بوتقه الياسمين :

وألبس سروالها القرمزي
فيشتعل الليل في كل شقه

أولا: مامدى الانسجام في لون المفردة الواحدة (القرمزي) تستخدم في مكانين متقاطعين لونا وظلا .

ثانيا: في البيت الثاني : هل هناك تفسير.. حتى ولو عسير الهضم لترتيب العجز على الشطر كنتيجة غير طبيعية لمقدمة غير طبيعية أكدتها فاء السببية في البيت الثاني .

ثالثا: لماذا تلبس سروال أروى تلك الجميلة الرائعة المحلقة كفراشة عند مطلع الشمس تتقاطر طهرا وظلا وجمالا وندى كما صورتها أنت سلفا وكأنها خلقت لتقتات منها معاني الشعر والعطر والورد والحب والجمال والخيال والروح.

وأروى من الورد سالت ضحى
ومنها قطفت لها الورد سرقه
وللمتها وردة وردتين
ففاحت وقد جاور العرق عرقه
كأنفاس حبر يصلّي تفوح
تميزها في المواعيد دقه
وفي الشعر تأتي على هودج
من الحلم في دفقة إثرٍ دفقه

وبعد هذا كله تأتي لتقول .. وألبس سروالها الـ...

هذا عن أروى أما عن نادية فأطرف ما فيه:

أوقعتني يا شعر في موقف
صعب كحرف الواو في الزاويه

والطرافة لاتأتي من كون الشاعر يفتري على الواو بأنه مثله في موقف صعب وهو في منتهى الراحة في زاويته على يمينه حرف عليه وعلى يساره حرف علة وهو بذاته حرف علة ولاغبار عليه لكن الطرافة تأتي من كون الشعر قد أوقع الشاعر في موقف الحشد والحشر والتأليف للابيات التي جاءت بعد هذا البيت حتى ولو لم ترسم فكرة او معنى أو ظل او صورة فلماذا لاتصفو له الصافية وإذا كان فلينتقل الى حده فقط.. وهل لتحديد سورة ق والجاثية في التلاوة وظيفة سوى ترقيع القافية ..

وفي البيت «تبدو كنجم هوى ماضل» المقتضبة اقتضابا من مطلع سورة النجم فقد خانه التوفيق بين الجمع والتأليف او التواشج والتقاطع بين من هوى ومن ضل .. هنا وهناك. مما يجعل البيت غير منسجم ظلا ومعنى.

علي أن الرائع والجميل حقا في هذا الظل المقدر في الصورة الفنية التي يجسدها التناسق الفني بين ظل مفردة الزواية والموقف الصعب الموحيين أبدا بالحرج وهو المقصود وكذلك المقدرة العالية على اللعب بالألفاظ وتطويع اللغة كما شاء في البيت الطريف.

ياقلبي المعتل أخشى
عليك الجزم من لاءاتها الناهية

وتتلاحق الأنفاس في قصيدة القصة.. سريعة ساخنة منتظمة صورا وتراكيب واضواء إلى أن يعبئ الضوء في الأكياس فيخفق وإلى أن يرسمها في جسده بالأمواس فيأخذ اجازة مرضية لمدة اسبوعين حتى تلتئم الجروح كي يعود ليرسمها من جديد ويأخذ اجازة.

وفي البيت:

فستانه الحالي القصير له
في القلب وقع الظفر والحافر

وربما الصحيح فستانها لأن السياق عنها وليس تلك هي الملاحظة إنما الملاحظة ان ثمة خروجا فنيا في التصوير.. بين معادلة البيت.

وثمة خروجات سعيا في اقحام الكاميرا وابوبكر سالم بالفقيه في البيت الثالث ص٨١-ص٨٧ حيث اقحم الحارث هاتين المفردتين ولوى عنقهما بقسوة لتنسجم معه .. فانسجمت معه لكن في حضرته هو وربما رعبا منه أما في غيابه فقد استعصت على الإنسجام.

ربما لاتستطيع كل حسنات البردوني أن تصيرر مفردة «حسنا» إلى حسنه!

باعتبارها سيئة جاءت في مطلع قصيدته في وجه الغزوة الثالثة.

حسنا إنما المهمة صعبة
يكن ولنمت بكل محبه

كون مفردة حسنا مبتذلة تساوي شعريا أوكي الانجليزية وعلى حد تعبير احد النقاد .فهي مرفوضة هنا بالذات لثلاثة اعتبارات الأولى انها استخدمت شعريا الثانية أنها استخدمت شعريا في مطلع قصيدة كبيرة الثالثة انها استخدمت شعريا في مطلع قصيدة كبيرة للبردوني بالذات.

وعلى خلفية المداخلة آنفة الذكر ننتقل إلى حمالة النهدين الذي نجده يطفح بمجابرات الموظفين واحاديث مقايل وحكمة العجائز التي جاءت عفوية ولكن مع سبق الإصرار والترصد من الشاعر الذي كان له مندوحة في استخدام غير هذه العبارات محل ملاحظتنا هذه وكان يمكنه اعفاء مجموعته الرائعة من أي عبارة مبتذلة او مستهلكة وفي غير سوق الشعر لكنه كما يبدو لم يعبأ بذلك وليس لم يأبه لذلك وإن شئت فقل لم ير غضاضة من استخدامها، أو له فلسفته الخاصة به في ذلك وليس لي هنا أكثر من حق العرض للملاحظة التي اختزلها بسؤال للحارث لاسواه وهو: ألا ترى معي أن حشر مثل هكذا عبارات «كم من مشنب عجز، هل له مصلحة، اكتب اليك على عجالة، ابعد ماتصورون، هل له مصلحة، وضع يذهب العقل، أو صيك تحترز قسمة ونصيب؟» خروج فني عن بهاء المجموعة الرائعة وقاموسها المتميز.

العقاد في ذكراه الأربعين:

مفكر شامل ورائد من رواد النهضة الأدبية

■ القاهرة/الثورة

لايزال المفكر الكبير عباس محمود العقاد باقياً ولازالت آثاره تثير الدنيا وتشغل الناس في عالم الفكر والأدب، هذا الانطباع كان هو السائد أثناء الاحتفالية الكبيرة التي شهدها مركز «بيت الأمة» الثقافي بمناسبة الذكرى الأربعين له وأشرف عليها محمد نوار وشارك فيها حشد كبير من المثقفين ومحبي الأدب.

وقد تحدث د.عبدالحميد مدكور عن الجانب الديني لدى العقاد وأكد أنه رغم المساهمات الدينية التي جاءت متأخرة نسبياً من العقاد إلا أن الدين كان رافداً أساسياً في ثقافته وأيضاً في تكوينه العام ويرجع ذلك بالأساس الى نشأته الدينية وتدين أبويه وتأثره بمكتبة أسرته الحافلة بأمهات الكتب وخاصة كتب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وكتب محيي الدين بن عربي..

كما أشار د.مدكور الى تأثر العقاد بالشيخ المجدد محمد عبده الذي قابله صغيراً وأثنى عليه الشيخ وقال عنه:

«ما أجدر هذا أن يكون كاتباً» مشيراً الى أنه للعقاد مساهمات بارزة في الدفاع عن التدين بصفة عامة وعن الاسلام بصفة خاصة كما ساهم بجهد كبير في الرد على سهام المستشرقين وعلى سبيل المثال كتابه «الاسلام وأباطيل خصومه» كما رد على الماركسيين بشدة بل وتنبأ بنهاية دولتهم لأنها قائمة على الديكتاتورية وهي لاتستقيم مع الفطرة الإنسانية...

وعن تأخر مساهماته الدينية قال د. مدكور: إن العقاد تأخر في مجال الاسهام الديني لسبب انشغاله بالفكر والأدب والنقد ومعاركه الأدبية الضارية كذلك إصابته بنوبة من الشك العاصف نتيجة اتصاله بأعلام الشك الفلسفي في الفكر الغربي.

كما تحدث د.عبداللطيف عبدالحليم عن الشعر عند العقاد وقال: إن التجديد كان سمة من سمات العقاد في شعره كما أن مصطلحاته تأثر بها نقاد الأدب وقتها حتى وإن أنكروا ذلك، مشيراً الى ديوانه الأخير «وحي الأربعين» الذي أثار عاصفة أدبية وقتها لما يحمله من قيم وأصول شعرية جديدة.

وأوضح «عبدالحليم» أن العقاد مفكر شامل له عشرة دواوين شعرية وله عشرات الكتب النقدية وله في الرواية والسير والتراجم مؤلفات عديدة كما أصدر العبقريات وبحوث الفلسفة والتاريخ والفكر...

موهبة فطرية

من جهة أخرى تحدث د.محمد أبو الأنوار عن موهبة العقاد الفطرية فقال: ان العقاد على عكس كثير من المبدعين والمفكرين بدأ عملاقاً ممثلاً في كتاب له ألفه وهو في عمر ١٨ معرفاً الكاتب والشاعر بقوله:ان الكاتب هو من كانت له مزية ينفرد بها عن غيره أما الشاعر فهو من يشعُر ويُشعر فتخيل أن هذا الكلام صادر من شاب عمره ١٨ عاماً وهو على عكس كثير من العظماء، فطه حسين مثلاً لم يبدأ عملاقاً.

ويضيف د.أبو الأنوار: أن العقاد له فضل كبير على النهضة الأدبية والفكرية التي سادت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر فقد ساهمت أفكاره في ظهور مدارس جديدة من الشعر مثل «مدرسة أبو للو» كما أنه ساهم مع طه حسين ومحمد حسين هيكل في ظهور روافد جديدة للشعر والأدب خلصته من الجمود الذي كان يعاني منه»..

ويؤكد د.أبو الأنوار أن العقاد كان يأتي بالجديد دائماً سواءً في طرافة موضوعاته أو حتى اذا عالج موضوعاً تقليدياً فمثلاً عندما تكلم عن وجه الإنسان أتى بكلام جديد عن مقاييس الجمال وكأنه دارس متعمق لنظريات الأعصاب ونسب الجمال، مشيراً الى أن العقاد دافع كثيراً عن العلوم النظرية فكان يقول: «الفكر الذي ليس له طاقة في فهم الدراسات النظرية فكر لاطائل فيه»، فقد كان يعتبر النهضة لاتتم إلا بنهضة فكرية وعقلية وفلسفية تمهد الطريق، أمام العلوم الأخرى كالفيزياء والطب وغيرها..

أكد أن أغلب النقد في الصحف والمجلات انطباعي بحت:

الناقد إبراهيم فتحي: وظيفة الناقد البحث عن الإبر الذهبية في أكوام القش!!

القاهرة/ الثورة

هل تموت المذاهب الأدبية ؟ وهل موتها يقترن بموت الأيديولوجيا وادعاءات ما بعد الحداثة ؟ وما حقيقة انسلاخ الجيل الجديد من المبدعين عن عباءة اساتذتهم ولماذا هذه القطيعة بين الأجيال ؟ واي دور للنقد او الفلسفة في الفكر العربي حاليا وكذلك للمثقف اليوم، هل ثمة دور له في التنمية السياسية ؟ وهل حقاً لا يقرأ النقاد ولا يبدع المبدعون ؟ هذه الاسئلة طرحناها على الناقد المصري إبراهيم فتحي وهو من أهم النقاد الفاعلين في الحركة الثقافية باجتهاداته في النقد التطبيقي وكتاباته السياسية وترجماته لهيجل وأهم أعماله : (عالم نجيب محفوظ الروائي) وغيرها من الدراسات النقدية التي تؤرخ لتطوير النقد العربي .

في حوارنا معه أكد أن المذاهب الأدبية التي لا تتطور لا يصح البكاء عليها حيال موتها وان الشللية آفة الحياة الثقافية واشار إلى دور الناقد بأنه الباحث عن إبرة من ذهب وسط كوم من القش .. وفيما يلي نص حوارنا معه:

■ ابراهيم فتحي

● موت المذاهب الأدبية، ميتة جديدة تضاف لقائمة الموتى في المصطلحات النقدية والفلسفية المعاصرة فهل حقاً تموت المذاهب الأدبية؟

– ماتت الواقعية اولاً ثم ماتت البنيوية على يد التفكيكية ومسلسل تشييع الجنازات مستمر بطبيعة الحال تشييع الجنازات يغفل العناصر الحية التي تتركها المذاهب الأدبية ، كالواقعية التي تقوم على تحليل الواقع الاجتماعي ، على اكتشاف التناقضات على اكتشاف الجوهر لا يمكن ان تذهب الى المقبرة دون أثر فهي تركت اثراً في الإبداع العالمي وخاصة الكلاسيكيين الروس فتظل حية .

إن المذهب الذي يعمل على قراءته وإدراكه والغوص في أعماقه يترك لدى الباحثين ادوات إجرائية ورؤية عامة مهمة جداً وبالتالي لو وقف المذهب جامداً واعتبر نفسه خارج التاريخ او قد قال الحقيقة بأكملها فإنه يكون جديراً بالموت فالواقعية التي لا تتطور في واقع متغير ومختلف عن بداياتها في القرن التاسع عشر في علاقات تختلف جذرياً عما نحن فيه الآن ، أصبحت علاقة الفرد بالمجتمع إشكالية وانفصل زمان الفرد عن زمان المجتمع واصبحت للإبداع تقنيات جديدة المونولوج الداخلي مثل عكس اتجاه الزمن .. إلخ لذلك اذا لم تتسع الواقعية لاستيعاب التغييرات الجديدة ستظل جامدة لا تستحق الدموع على موتها..

وعن التبسيطات التي يعاني منها مصطلح نقدي كالواقعية: الشكليون حينما يتحدثون عن الواقعية يصنعون عدداً من القش يختلقونه ليهزموه : إنها تعني التسجيل الفوتوجرافي للواقع او أنها دعائية وبطبيعة الحال لا علاقة للواقعية في النقد بهذه الافتراءات .

من ناحية أخرى إن الشكلانية مثلاً هل تقوم إنها عقيمة لأنها تعزل النص عن سياقه او ما الى ذلك ، نعم الشكلانية تعزل النص في السياق ولكن كانت لها اكتشافات مهمة جداً في الشكل وفي السرد عموماً دراسات الحكاية الشعبية والميثولوجيا لدى فلا ديمير بوب وبعض الاستفسارات في اللغة الشعرية هذه الأشياء تستطيع أن تتفاعل معها الواقعية وان تعتني بها وكذلك يمكن ان تغذي المذاهب النقدية بعضها بعضاً حتى لا تموت وما يقال عن المذاهب السابقة يقال عن البنيوية والتفكيكية وما بعدهما .. واعتقد أنه يمكن أن يكون ثمة تفاعيل خلاق بين الاتجاهات المختلفة دون تلفيق او هدم للمبادئ الأساسية وأظن ان ذلك التفاعل سيكون مفيداً بطبيعة الحال .

الثقافة مهددة والذات الإنسانية غير متكاملة

سقوط الأيديولوجيات

● هل ثمة علاقة بين موت المذهب الأدبي وسقوط الأيديولوجيا التي تحكمه؟

– هناك علاقة جدلية بين المذهب الأدبي والأيديولوجيا او الفلسفة ولكن هل كل الواقعيين مثلاً كانوا ماديين جدليين لا بطبيعة الحال ، ولكن الأيديولوجيا كانت متفائلة منفتحة على العالم نقدية تقول بأن العالم قابل للمعرفة وأن الإنسان يمتلك مصيره هل هذه الأيديولوجية قابلة للموت؟ لا طبعاً إنها أيديولوجية حياة، والبديل هو إيديولوجية الموت ، عكس كل المبادئ السابقة، فالصراع بين القوى الحية والقوى التي في سبيلها الى الزوال صراع مستمر والحديث عن (موت أيديولوجيا) نفسها كلام إيديولوجي بالمعنى السلبي فتوجد أيديولوجيا مرتبطة بقوى صاعدة وأخرى مرتبطة بقوى

الحديث عن نهاية الأيديولوجيا .. أيديولوجيا تخفي اسمها

محتضرة او هابطة ثم هل يستطيع اي إنسان التخلص من الأيديولوجيا ؟ هل يرى العالم إلا من خلال منظور معين يحدد ثباته وتطوره ومبادئه وليست الأيديولوجيا شيئاً واحداً سيء السمعة ولن تموت بل إن إعلان موت الأيديولوجيا هو شعار أيديولوجيا رديئة تحاول إخفاء نفسها وثمة اشكال مختلفة من الأيديولوجيات أكثر من الشرائح الاجتماعية التي تنتجها لانه من الممكن ان ينمو في الشريحة الاجتماعية الواحدة عدد كبير من الأيديولوجيات . وبالتالي فسقوط الأيديولوجية لا يتبعه بالضرورة موت المذهب النقدي الساكن إطارها لأن ثمة استقلال ذاتي للنقد عن فلسفته رغم الترابط وبالمناسبة انا لست سعيداً بالحديث عن الموت واريد ان أتحدث عن الحياة .

نقاد لا يقرأون

● يثير البعض في حياتنا الثقافية الجدل بقولهم اننا نعاني أزمة نقاد لا يقرأون وكتاب لا يبدعون ما رأيك في هذه المقولة ؟

– نقاد لا يقرأون – مندهشاً – كيف ؟ الناقد حسب المفهوم الشائع معلق على آخر الإصدارات – هذا المفهوم الشائع وليس الصحيح – فعن أي شيء يكتب فدوره يأتي بعد الابداع ولابد أن يتابع الإبداع ليحكم عليه أو ليقرأه او ليفسره النقاد لا يقرأون ؟! مرة أخرى يبدو تعجبا – لماذا ؟ هل لأنهم أميون لا يعرفون القراءة ؟! هل كفوا عن ممارسة النقد .. أما عن الإبداع فنحن لدينا من الكم أطناناً من الأشياء التي تسمى إبداعاً عندنا منها الكثير ومن كومات القش الكثيرة جداً توجد إبر ذهبية بلا جدال والروائع طوال التاريخ وفي كل بلاد العالم لا تنتج بالجملة وهذه وظيفة الناقد البحث عن الإبر الذهبية في أكوام القش .

● هل ترى ان الابداع المنشور يعبر عن حقيقة الابداع العربي بشكل عام ؟

– أعتقد انه يعبر عن مستوى الإبداع الأدبي بدرجة كبيرة وهناك طبعاً الإبداع الكامن والممكن والذي لم ينشر بعد لكننا لا نستطيع الحكم على ما في الصدور ولكن نحكم على الإبداع الحاضر المنشور المتجسد ليعبر عن الخريطة العامة على وجه التقريب لأن من يدري ؟ لعل شاعراً غير معروف الآن او كاتباً لم ينشر عملاً واحداً يفاجئنا بإبداع لم يسبق له مثيل وهذا ممكن .

● ظاهرة الشللية في الحياة الثقافية الى أي مدى استفادت الحياة الثقافية منها او تضررت ؟

– ثمة اتجاهات مختلفة واحياناً متصارعة والصراع بينها جزء من الصراع الفكري على نطاق المجتمع وهو صراع صحي تماماً وبطبيعة الحال أن يلتف مجموعة من الكتاب والنقاد حول رايه تجمعهم لا ضرر في ذلك ولا تسمى هذه الراية شللية ولكن إذا تحول الصراع الصحي الراقي ، والذي هو في جوهره حوار الى تعصب ورغبة في استعباد الآخرين وزعم احتكار الحقيقة المطلقة والإبداع حينئذ يكون ضاراً وتتحول المدرسة الى شلة مغلقة وهذا شديد الضرر.

وأعتقد ان حرفة الأدب ليست حرفة مربحة كالتليفزيون والسينما وشرائط الكاسيت لذلك فالصراع على الغنائم ، يصبح خافتاً إذا لم توجد غنائم ماهي غنائم الأدب ؟ كم تبلغ مكافأة نشر عمل نقدي او إبداعي ؟ إنها قروش قليلة لذلك لا يكون الصراع لقطع الرقاب ، نعم توجد بعض المشاجرات والمجاملات وكلها لا تستطيع ان تطبع الحركة الثقافية بطابعها ولكنها اشياء تعدد صفاء الجدول .

● هل ترى ان مساحة النقد التطبيقي في المجلات والصحف اتسعت ام ضاقت ولماذا من وجهة نظرك؟

– النقد التطبيقي مقابل النقد التنظيري وهذا الأخير لن تستطيع قراءته في ملحق ادبي لجريدة او مجلة ، فأوعية النظرية النقدية وصعوبتها لا تجدها إلا في كتاب .. أما النقد التطبيقي ليس متجانساً ، فهناك التعقيبات الصحفية السريعة على الإصدارات الجديدة ، وهناك الدراسات النقدية ، وهي أيضاً ضيقة المجال جداً لذلك فمعظم النقد المتاح للقارئ نقد تطبيقي ينصب حول قراءة وتقديم عمل إبداعي معين ويكثر بشدة النقد الانطباعي .

ومن ناحية أخرى نجد أن الناقد البنيوي قد يدس في كتاباته مقولات لا علاقة لها بالبنيوية ، يتحدث أحياناً في السياسة والواقع ونجد أن بعض القيمات الانطباعية السريعة تضع مكياجاً نقدياً ببعض الكلمات النقدية مثل (شفرات / إضاءة النص / ومحاور النص) وأشياء من هذا القبيل ، وهذا يختص به ، النقد الرديء الذي لا هو نقد ولا هو عرض للعمل الإبداعي وإنما هو مكياج لقراءة انطباعية ، غالباً ما تكون مجاملة الرديئ للنص على حساب النقد .

ويعاني النقد بشدة خارج النقد الأكاديمي من ضيق مساحات النشر المخصصة له ، لأن النقد كتابة عن كتابة يجذب جمهوراً أضيق من جمهور الرواية او الشعر ، أو العمل الإبداعي نفسه ، فقراء النقد محدودون ومعظم القراء لا يهتمون بالتدقيقات النظرية ويهمهم التقييم الشامل للأعمال التي يسمعون عن صدورها ، لذلك هناك نوع من النقد جميل جداً وإن كان سطحياً هو تقديم الأعمال الجديدة وإبراز نواحي الجمال بها في إطار حكم عام يشتمل عليه المقال الذي يقدم العمل الإبداعي .

● مارايك في ادعاءات الجيل الجديد من المبدعين بأنه جيل بلا اساتذة وكيف تفسر انقراض جيل العمالقة ؟

– هذا يستغرق وقتاً طويلاً بطبيعة الحال ، كم من الزمن يكفي لصناعة قمم جديدة فالزمن هو الذي يحكم هذا السياق ، نجيب محفوظ ظل سنوات طويلة مغموراً لم يكتب عنه إلا سيد قطب وأنور المعداوى ، سنوات طويلة جداً .. ثم من هو العملاق .. يقول رولان بارت : إن الأدب الرفيع هو الذي يدرس في المناهج التعليمية والجامعات باعتباره نماذج . فلا بد أن تصقله فصول الدراسة ولابد من تكرسه أجيال من الدراسات النقدية وهذا كله يستغرق وقتاً ، من قال إن القمم تظهر فجأة إن العمالقة ثمرة لتراكم طويل جداً من الإبداعات وما إلى ذلك .

● لكن هذا لا يفسر لنا قطيعة الجيل الجديد مع الأساتذة الرواد ؟

– هل حقاً هو كذلك ، رغم كل ما يدعيه هو يريد ان يقول أن إبداعه غير مسبوق وأنه اتى بما لم يأت به الأولون وأنه الأفضل هذا طموح مشروع ولكن كيف نتخيل شاعراً يأتي كالنبات الشيطاني من خارج التقليد الشعري او روائي من خارج التقليد الروائي ، إن القطيعة مع الماضي نفسه لابد أن تتضمن الماضي وتهضمه ثم ترفضه وتضع تراثها مقابل التراث القديم حتى القطيعة لها صلة ما تقطع صلتها به .

ومع ذلك لو استطلعنا الدراسة التفصيلية لبعض الأعمال التي تزعم انها بلا أساتذة لوجدنا الاساتذة في المترجمات الرديئة عن بعض الشعراء المعروفين جيداً بل وعدد قليل جداً منهم او من بعض الصيحات النقدية التي تعد تكراراً للترجمة ايضاً .. فحينما يقول شاعر او روائي او ناقد أنه ولد كالصاعقة من السماء هو لا يقصد بطبيعة الحال أن يكون لقيطاً ولكنه يقول لنا لا تبحثوا عن جذوري في السلف المباشر ، لكننا سنجد جذوره في معاصريه من الخارج ولنقل ان الكثير جداً من التكرار وعدوى التثاؤب تحدث لدى الكثير من المبدعين الشبان يكررون بعضهم بعضاً فتنتقل من ديوان الى ديوان بلا أدنى شعور بتميز أحدهم عن الآخر وكأنها نسخ مكررة من عمل واحد .

وثمة شائعات ترسخ هذا الوهم مثل الشعر لابد ان يكون عن ذات لا علاقة لها بالعالم وأن الشعر لا علاقة له بالعالم او تغييره الشعر الخالص هو الذي يتحدث عن ذات ممزقة الأوصال والتركيز على التجربة الجسدية الحسية بوصفها حسية لا عاطفية تحديداً .. كل هذه الاشياء شائعات يصدقها البعض ولا تنتج إلا تكراراً ومدارس بلا اساتذة جيدين ولكن بإساتذة لا داعي لوصفهم .. فقد كان القدماء يقولون .. من لا شيخ له ، فالشيطان شيخه !

● الى أى مدى تضيف الرؤية الفلسفية عمقاً لعمل الناقد الأدبي ؟

– الرؤية الفلسفية نظرة للعالم ومكان الإنسان فيه ، بالإضافة الى تحديد المفاهيم ودقتها والاتساق المنطقي في المنهج ، ثم إن النقد فيما مضى كان فرعاً من فروع الفلسفة ثم انفصل عنها ولكنه مازال يحمل آثار هذه العلاقة فكيف يستطيع الناقد بلا عدة فلسفية أن يدرك اي مذهب أدبي دون معرفة اسسه الآبستيمية هذه الأسس التي تكون خلفية كل مذهب .. ومن ناحية أخرى فإن الفلسفة بشكلها الأكاديمي المغلق نزلت إلى السوق ، وأصبحت أداة داخل الفروع والتخصصات المختلفة وتدخل كأداة لازمة للنقد ايضاً .

ماهي غنائم الأدب حتى نتصارع عليها؟!

والمفارقة أن الكثيرين من نقاد الأدب مثل تيري إيجلتون ورولان بارت وريموند ليامز وغيرهم فلاسفة بالأصل ، بل إن النقد الأدبي في أحوال كثيرة يلعب لعبة الفلسفة ليجعلها أكثر فاعلية وارتباطاً بالواقع ، فالفلسفة الآن ترتدي ثياب النقد الثقافي العام .

واقع سياسي

● وفي ضوء الوضع السياسي والثقافي العام في العالم العربي ، أي دور يمكن ان يلعبه المثقف اليوم في التنمية السياسية ؟

– المثقف اليوم ينتظره دور مختلف عما مضى فلم يعد المثقف هو ساكن البرج العاجي ، أو الأكاديمية ، فللثقافة مسؤوليتها في عصر انتشار الوعي الزائف وتهميش الثقافة والمثقف .. فعليه اولاً الدفاع عن وجوده والثقافة معاً وثانياً الدفاع عن وعي الإنسان بالعالم ويلعب دوراً كانت تقوم به الثورات والأحزاب السياسية قديماً وان يكون ضمير شعبه وان يحارب الوعي الزائف بتجاوز الجزئي والهامشي والمحلي ليصل الى البحث عن المصير الإنساني بشكل عام ومطلق في هذا العصر الذي يشوه إنسانية الإنسان والذي إذا تتبعنا مسلسل الجنائز يعلن عن موت الإنسان نفسه .

إن الإنسانية نفسها الآن لم تعد مفهوماً جديراً بالاحترام ولكن يوجد الفرد في أحواله الجزئية والخطاب الخاص لأن الذات الإنسانية لم تعد متكاملة ، وإنما تحكمها خطابات من خارجها .. في هذا العصر على المثقف أن يدافع عن إنسانية الإنسان ويحمل مسؤوليته العامة ولا يتحول الى متخصص في النصوص وتركيب الجمل او في تقسيم الشعرة الواحدة عليه أن يقوم بالدفاع عن الكلي والشمولي والاستمرارية ، لأن ما هو إنساني مهدد ولأن الثقافة نفسها مهددة!!